Lee في تشرين الثاني / نوفمبر 1968 بعث القنصل العام الأمريكي في الظهران بالمملكة العربية السعودية لي دينزمور تقريراً سرياً إلى واشنطن عن أول لقاء جمعه بالحاكم الشاب الجديد لإمارة أبوظبي سمو الشيخ زايد بن سلطان آل Dinamore نهيان، وأشار القنصل العام في تقريره إلى أن . بكل موضوعية رجلاً ذا قوة يحسب لها ألف حساب، غير أن القنصل العام أكد في برقيته الموجزة على جانب معين أكثر من غيره في شخصية الشيخ زايد، كما أكد أن آخرين ممن يشق بصواب رأيهم قد أخبروه أن «زايد عربي من الصحراء يتصف بالكفاءة والقوة والصراحة . بالنسبة إلى القنصل دينزمور ورؤسائه في وزارة الخارجية الأمريكية فإن وجود شيخ من عرب الصحراء ، وكانت عبارة عربي من الصحراء تجسيداً يختزل كل تلك الصفات، لذا نتعرف في هذا الفصل ما تعنيه حياة عرب الصحراء وأثر البيئة والمجتمع القبلي في تكوين شخصية الشيخ زايد التي بهرت القنصل العام الأمريكي. أي قبل أكثر من قرن من إرسال دينز مور تقريره أنف الذكر، ولم يكن المقدم بيلي خيالياً في انطباعاته، غير أن سمات لافتة للنظر في شعوب الخليج العربي استرعت انتباهه فكتب يقول : ما إن تلتقي هؤلاء العرب حتى تفهم كيف استطاعوا أن يفتحوا العالم ذات يوم . قد تشكلت جميعاً وإلى حد بعيد نتيجة للظروف الطبيعية والأحداث التي كانت نظراً من حين إلى آخر. إن المرء الذي يجد نفسه مجبراً على العيش في الصحراء لا يمكن أن يشيه نفسه بأخر ينحدر من سلالة بدوية أصيلة، تفتحت عيناه على الحياة ليجد نفسه في أحضان البادية بكل سخانها وثرائها . و خلص المبعوث البريطاني إلى النتيجة نفسها التي توصل إليها دينزمور بعد مضي قرن من بعده، كما أنه لاحظ للوهلة الأولى عاملين مهمين درجت الأجيال اللاحقة على تجاهلهما، فقد اعتبر بيلي أنه على الرغم من وجود بعض الخصائص المشتركة في المجتمعات العربية، فإن هناك بعض الصفات الخاصة التي أفرزها التفاعل مع بيئة معينة، اكتشف بيلي في العرب الذين التقى بهم قدرتهم. خاصة في ظل السمات الكامنة في المجتمع الذي شكل ثقافتهم، أما الذي يجمع بين الفهم الذي توصل إليه الفصل العام الأمريكي دينو مور وذلك الذي أدركه. المبعوث البريطاني بيلي فهو أنهما المجاوزا في نظرتهما الرؤى النمطية عن العرب لينفقا إلى تفهم جوانب القوة والقدرات الكامنة فيهم. ويرتبط هذا الجانب على نحر مباشر بأي محاولة التفهم شخصية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، وقد يكون من السذاجة إلى حد بعيد أن نصفه بأنه يجد ثقافته وبيئته فقط، ومع ذلك لابد من تحليل البيئة الطبيعية والخلفية التاريخية والاجتماعية التي نشأ فيها الشيخ زايد، بالأسلوب الذي طرحه بيلي من قبل، ترجع أصول معظم الشعوب العربية إلى المناطق الصحراوية القاحلة التي كان لها دور رئيسي في تشكيل كل جوانب ثقافتها تقريباً. لقد أكسبتهم بيتهم الصلابة وقوة التحمل والاعتماد على النفس، مما مكنهم من فلح البلاد الممتدة من شواطئ بحر العرب إلى المحيط الأطلسي ، فخلال القرن السابع الميلاد بدأت الدعوة للدين الإسلامي الذي النشر في الأراضي العربية بعد أن نزل الوحي الإلهي بالقرآن الكريم كتاباً عربياً خالصاً. بحيث يكمل كل عنصر منها الآخر. فيما النشر الإسلام طواعية في مناطق واسعة وخلال قرن التحول العرب إلى أمة مستقرة إلى حد كبير، ولكني يتفهم غير العرب المعنى المراد بالقبيلة في شرقي شبه الجزيرة العربية عليهم أولاً أن يتخلصوا من أفكارهم المسبقة عنها، ما جعلهم يرون القبائل العربية على غير حقيقتها، بل يعتبرونها اسلوب حياة من الماضي فالقبلية في شبه الجزيرة العربية رابطة إيجابية، لمنح القوة والتماسك الاجتماعي، وهي الصفات التي مكنته فيما بعد من أن يقود بوتيرة متسارعة دولة حديثة النشأة نحو عالم جديد تسوده التقنية والابتكارات وعلى يد الشيخ زايد أثبتت الثقافة القبيلة أنها قابلة المتكيف مع محيطها ومرنة بالقدر الذي يمكنها من التعامل مع التغيرات الجديدة، وبدلاً من أن تكون ثقافة القبيلة علية أمام عملية التحديث، إن ظروف الحياة التي واجهت بدر الصحراء أنت إلى ربط كل جوانب مجتمعهم عمالة الكدح والكفاح من أجل البقاء بشكل لا مثيل له، بل إن مجرد قدرتهم على العيش وتأمين الحياة الدوابهم في منطقة مجدية تبدو للغرباء عنها عالية من الماء أو الطعام. والكلاء هو الجاز غير عادي في حد ذاته " لقد أفلحوا في ذلك بفضل خبرتهم العميقة بيتهم التي تبدو أوضح مظاهرها في معرفتهم للأمكنة التي يتوافر فيها الكلا والماء. مجرداً من كل ما هو غير ضروري وقد استطاع أهل البادية التكيف مع ظروف معيشتهم على الرغم من الفقر الشديد في الموارد واللبدوي العربي خصال الحميدة التي صافتها بيته، وكما قال ابن خلدون هران: «البدو يقطعون الصحراء وحدهم، وفي هذه الظروف البيئية القاسية ينمو إحساس الفرد بذاته، ويتزايد تقدير قيم الحرية والاستقلال المالي، غير أن السعي من أجل البقاء قد عودهم في الوقت نفسه أن يتعاونوا ويتكاتفوا، ويعملوا متحدين في جماعات كلما التفت المصلحة العامة ذلك، وليس في وسع البدوي أن يدعي أنه يتحكم في بدوي آخر، وتقوم روابط الاتحاد على عهود ومواثيق طوعية يحافظ عليها أطرافها ملتزمين بمبدأ الشرف وصدق الكلمة الذي يشكل مقوماً أساسياً في كل جانب من جوانب القافتهم. لقد تشكل مجتمعهم من تفاعل ثلاثة عناصر منفصلة ولكنها متشابكة أولها طبيعة المكان وهي البيئة الطبيعية التي حددت أبعاد عالمهم. وثانيها البنية السياسية التي تنظم من خلالها حياتهم الاجتماعية والمتمثلة في القبيلة

Summarized by © lakhasly.com

والزعامة القبلية، أما الثالثة فهي البنية الأخلاقية التي ربطت بينهم، كما أنها تشكل المرتكزات الكامنة في أعماق شخصية الشيخ زايد. البيئة الطبيعية الصحراء المند منطقة شبه الجزيرة العربية على مساحة تربو على ثلاثة ملايين كيلومتر مربع. وعلى الرغم من صحة هذا الوصف إلى حد كبير فإنها لا تخلو من أراض خصبة وعلى جانبها الغربي لمند سلسلة من التلال الصخرية التي يتزايد ارتفاعها حتى يبلغ 2000 متر في المنطقة الواقعة حالياً ضمن حدود اليمن وعلى امتداد ساحل بحر العرب تبدأ التلال العالية في الانحدار تدريجياً إلى أن تصبح سهلاً يتد يعمق إلى الداخل . وتبدأ الأرض الممتدة حول الساحل في الارتفاع مرة أخرى حتى تصل إلى سلسلة مرتفعات الجبل الأخضر في سلطنة عمان، مسندم التي تتاخم أحد أهم المقابل المالية في العالم من الناحية الاستراتيجية، ولا يرتفع ساحل الخليج العربي كثيراً من مستوى سطح البحر، ويظل هكذا إلى أن يصل إلى مصب نهري دجلة والفرات، غير أن هذه المنطقة الواسعة تضم العديد من الأراضي القاحلة، فإلى الشمال تقع جبال الحمد وأجزاء من صحراء النقود التي تند جنوباً حتى تصل إلى جبال عبير في الجنوب الغربي أما من جهة الشرق فتقع صحراء الدهناء ومنطقة الظفرة التي تشكل امتداداً للصحراء حتى ساحل الخليج العربي، وتشكل الظفرة وواحة ليوا أراضي قبيلة بني ياس، هناك تقارير الشهود عيان يعود المقيم Beral Seam تاريخها إلى بداية القرن التاسع عشر نصف هذه المنطقة وتتناول فقط الحياة فيها، فقد كتب ديفيد سيتون البريطاني في مسقط، وهي صحراوية باستثناء بعض الجزر الواحات) المتناثرة في الرمال والتي يرمون قطعاتهم فيها، أما الأولى فليس فيها سوى الرمال، ليضيف وصفاً عاماً لهذه المنطقة قائلاً : ذلك الجزء من شبه الجزيرة العربية هو في معظمه صحراء مقفرة تغطيها الكلبان الرملية، وعموماً فهي تتكون من بقعة ساحلية بها سلسلة من الجزر التي تبعد عن سواحلها، ومنطقة صحراوية بعيدة عن الساحل تبدأ هذه الجزر المحاذاة ساحل قطر وتنتهي إلى الشمال الشرقي من مدينة أبوظبي، ومن ثم تنتجه نحو الشمال الشرقي لتمتد إلى ما وراء رأس الخيمة، والتي يكبر حجمها تدريجياً كلما اقتربنا من الربع الخالي، وتقسم المنطقة واحتين كبيرتين نسبيا، قد هاجروا أولاً إلى أطراف شبه الجزيرة ومن ثم غرباً عبر شمالي أفريقيا إلى المحيط الأطلسي وصولاً إلى إسبانيا، كما اليه بعضهم شرقاً حتى وصلوا إلى الهند، وما تزال بعض أوجه عملية الهجرة والتكيف هذه قائمة إلى يومنا هذا، وفي الأراضي البعيدة من المناطق التي فتحتها الجيوش العربية أقام التجار صلات بين شبه الجزيرة العربية والمناطق الواقعة. " وماتزال التجمعات العربية موجودة في كل قارة تقريباً. وقد تبين أن صفة القدرة على التكيف التي فرستها في عمل تكوينهم بينهم الصحراوية قد ساعدتهم على العيش في مناطق أقل قسوة. بل كانت تدخل إلى عيني شبه المغمضتين وكأنها تنفذ إلى قاع . جمجمتي

Summarized by © lakhasly.com